المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

من بلاغة التعبير اللفظي
في الخطاب القرآني دراسة تحليلية

The eloquence of verbal expression
in the Quranic discourse, an analytical study

بقلم الباحثة

شومة محمد مساعد الفاضلي البلوي

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة تبوك
المملكة العربية السعودية

الجزء السادس (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

من بلاغة التعبير اللفظي في الخطاب القرآني دراسة تحليلية

شومة محمد مساعد الفاضلي البلوي

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة تبوك ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : dr.shomah@hotmail.com

الملخص

الحمد لله رب العا لمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، ورضوان الله على صحابته الطيبين الطاهرين، وعلى أتباعه في الحق إلى يوم الدين.

ألفاظ القرآن الكريم هي مادة البحث، حيث يتناول البحث الألفاظ الأحادية التي وردت –لأول مرة –في التعبير القرآني بوصفها كلمات يميزها المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى الدلالي، وأهمية هذه المستويات في رسم المعنى وتوضيحه، مما يدل على التأنق في اختيار هذه اللفظة دون غيرها في التعبير القرآني، مما يكفل للمعنى قوة التصوير ، وحلاوة الجرس والإيقاع ، ألفاظ القرآن الكريم هي مادة البحث، حيث يتناول البحث الألفاظ الأحادية التي وردت –لأول مرة –في التعبير القرآني بوصفها كلمات يميزها المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى الدلالي، وأهمية هذه المستويات في رسم المعنى وتوضيحه، مما يدل على التأنق في اختيار هذه اللفظة دون غيرها في التعبير القرآني، مما يكفل للمعنى قوة التصوير ، وحلاوة الجرس والإيقاع.

الكلمات المفتاحية: بلاغة التعبير اللفظي ، الخطاب القرآني ، دراسة تحليلية .

The eloquence of verbal expression in the Quranic discourse, an analytical study

Shomah Muhammad Musaed Al-Fadhili Al-Balawi
Arabic Language Department, College of Arts, Tabuk University, Saudi Arabia.
Email: dr.shomah@hotmail.com

Abstract

Praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon the Seal of the Prophets, and God's pleasure be upon his good and pure companions, and upon his followers in truth until the Day of Judgment.

The words of the Holy Qur'an are the subject of the research, where the research deals with the monosyllabic words that appeared - for the first time - in the Qur'anic expression as words distinguished by the phonetic level, the morphological level, and the semantic level, and the importance of these levels in drawing and clarifying the meaning, which indicates elegance in choosing this word without Others in the Qur'anic expression, which guarantees the meaning of the power of imagery, the sweetness of the timbre and the rhythm. The words of the Holy Qur'an are the subject of the research, as the research deals with the monosyllables that appeared - for the first time - in the Qur'anic expression as words distinguished by the phonetic level, the morphological level, and the semantic level, and the importance of these Levels in drawing and clarifying the meaning, which indicates elegance in choosing this word and not others in the Qur'anic expression, which guarantees the meaning of the power of imagery, and the sweetness of the timbre and rhythm.

Keywords: eloquence of verbal expression, Quranic discourse, an analytical study.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد الله الذي علم القرآن، خلق الإنسان، وعلمه البيان، وأصلِّي وأسلِّم على أفصح الخلق لسانًا وأبلغهم بيانًا، وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن تبع هداهم إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾. [سورة الزمر، الآية: ٢٨].

أما بعد:

فقد عني المسلمون منذ فجر الإسلام بدستورهم الخالد، وهو القرآن الكريم، فجعلوه نصب أعينهم، وتضافرت جهودهم المخلصة فى دراسته والاستفادة منه.

«واتخذت عنايتهم الفائقة به أشكالًا مختلفة وألوانًا متعددة ترجع إلى حفظه وأسلوبه، وإعرابه وإعجازه، ومجازه وكتابته ورسمه، وأسباب نزوله، وأقسامه، وأمثاله، وجدله ومحكمه ومتشابهه، وقصصه وعظاته وعبره، وتفسيره واستنباط الأحكام منه، ودفع الشبهات عنه...»[(١)]، ومن مظاهر الاعتناء به معرفه إعجازه البلاغي، والسبب في ذلك الإعجاز بلاغة نظمه، وسلاسة ألفاظه، وإحكام أساليبه، واتساق إيجازه وإطنابه، وما فيه من حجة وبرهان، حتى قال قائلهم: (والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، ومغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته)[(٢)].

---

(١) الدر النظيم في مباحث من علوم القرآن الكريم، د. توفيق إبراهيم أبو بكر: ص٤- ٥، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، د. ت.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي: ٢٦، دار الفكر العربي القاهرة، ط٨، ١٤١٦هـ-١٩٩٥هـ.

ولعل أقوى دلائل الإعجاز في القرآن الكريم هو ذلك التأثير الذي يبعثه في النفوس، فإنه لا يكاد يطرق السمع حتى يخلص إلى القلب، وتجد منه النفس لذة وحلاوة.

أول ما يلفت الانتباه هو أن القرآن الكريم قد خلا من التنافر في بنية كلماته، فأصواته كلها قامت على الائتلاف، هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد سجَّلت كلمات القرآن الكريم قمة التناسق بين أصواتها والمعاني المرادة لها، وهذا هو الجديد في الصوت القرآني، أن يوظَّف الصوت المفرد داخل الكلمة لخدمة المعنى المقصود، فقد عنيَ (القرآن بالجرس والإيقاع عنايته بالمعنى، وهو لذلك يتخير الألفاظ تخيُّرًا يقوم على أساس من تحقيق الموسيقى المتسقة مع جو الآية وجو السياق بل جو السورة كلها في كثير من الأحيان وبخاصة تلك السور القصار التي حَفِلَ بها العهد المكي... لتأكيدها أصول العقيدة، من الإيمان بالله وتوحيده و...).[١]

وقد أشار الدكتور إبراهيم أنيس إلى هذا النوع من الدلالة التي تستمد من طبيعة الأصوات والتي يُسميها علم اللغة الحديث (الدلالة الصوتية) أو (رمزية الألفاظ) كما سماها (جسبرسن)[٢]؛ لأن لكل كلمة ذائقة سمعية – تكتسبها من استقلالها بحروف معينة– قد تختلف عمّا سواها من الكلمات التي تؤدي نفس المعنى، مما يجعل الكلمة المختارة مؤثرة أكثر من الأخرى – وإن اتحدت معها بالمعنى – بما تضفيه الدلالة الصوتية التي تتجلى بكلمات مختارة.[٣]

---

(١) الجرس والإيقاع في تعبير القرآند، كاصد ياسر حسين: ص٣٣٥، مجلة آداب الرافدين، العدد التاسع، ١٩٧٨م.

(٢) دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس: ص٦٨-٧٠، طبعة الإنجلو المصرية.

(٣) الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد الصغير: ص٢٣٨، طبعة دار الهادي للطباعة والنشر، ١٩٩١م.

أهمية البحث:

إن للمفردة القرآنية أهمية كبرى في البناء التعبيري، ودورًا عظيمًا في استجلاء سمات الإعجاز القرآني، فقد وقع اللفظ موقعًا من بلاغة الإعجاز وإعجاز البلاغة، واستعمل القرآن مفرداته استعمالًا أمثل، فهو الفيصل بين الأسلوب القرآني المعجز وبين كلام البشر في أرقى نماذجه وصوره.

فما لا شك في أن القرآن الكريم يتميّز عن سائر الكتب السماوية بإعجازه البلاغي؛ وكانت بلاغته من الوسائل المهمة؛ لإبراز إعجازه، وكشف مكامنه، والغوص في بحوره، وبيان درره الخفية التي يعجز البشر أن يأتوا بمثلها، والنّص القرآني نصّ غنيّ بأفكاره، ومعانيه، وحكمه، ومواعظه التي اختفت وراء ألفاظه وتراكيبه.

وقد احتوى القرآن الكريم على أساليب وتعابير بلغت الذروة العليا من البلاغة والفصاحة والبيان في ألفاظه ومعانيه، في أهدافه ومقاصده، فألفاظه تذوب في معانيه، ومعانيه تذوب في النفس وخلجاتها، إنه السحر القرآني العظيم "سحر البيان".

فهذه الألفاظ (ينظر فيها تارة من حيث هي أبنية صوتية مادتها الحروف وصورتها الحركات والسكنات من غير نظر إلى دلالتها... وتارة من حيث هي أداة لتصوير المعاني ونقلها من نفس المتكلم إلى نفس المخاطب بها.... ولا شك أنها هي أعظم الناحيتين أثرًا في الإعجاز اللغوي الذي نحن بصدده؛ إذ اللغات تتفاضل من حيث هي بيان أكثر من تفاضلها من حيث هي أجراس وأنغام. [1]

(١) النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز: ص١٠٦، طبعة دار القلم بيروت.

وفي بحثي تتبعت المفردات القرآنية الواردة في كتاب الله لأول مرة –صيغة ومادة– فوجدتها ما يقارب (٣٥٧) كلمة[١]، فاقتصرت في دراستي على بعضها، مما يدل دلالة واضحة على أن (القرآن الكريم يتأنَّق في اختيار ألفاظه وكل كلمة توضع في مكانها كاللبنة في البناء، لا يصلح غيرها موضعها، ولو تقارب المعنى وتساوى معها في الطول والعرض؛ لأن لكل كلمة دلالة خاصة، وإيحاء خاصًا، وانسجامًا في التركيب، ولا يستطيع أحد أن يلم بسائر الدلالات، ويوازن بين دلالة وأخرى، ويضع الكلمة المعبرة عن الموقف أصدق تعبير، والمصورة لخلجات النفوس وخطرات الضمائر إلا العليم الخبير الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور)[٢]، ولا عجب في ذلك، فكل مفردة قرآنية لها جرسها وإيقاعها الصوتي الخاص بها، الذي له أكبر الأثر في الدلالة على سياق المعنى، فقد "يستقل لفظ واحد في نسق تعبيري برسم صورة شاخصة يزيد من قيمتها أن لفظًا مفردًا هو الذي يرسم الصورة بجرسه الذي يلقيه في الأذن تارة، وبظله الذي يضفيه على الخيال تارة، أو بجرسه وبظله معًا"[٣]، ومن هنا كان البحث بعنوان: (من بلاغة التعبير اللفظي في الخطاب القرآني–دراسة تحليلية)، حيث سيتناول البحث بعض المفردات القرآنية الواردة لأول مرة في كتاب الله –تعالى– ولم تتكرر في سياق آخر، وستكون الدراسة من خلال:–

– دراسة المفردة القرآنية من حيث بنيتها الصرفية ،ودلالاتها الصوتية جرسًا وإيقاعًا.

---

(١)المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١١هـ –١٩٩١م.

(٢)فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. فتحي أحمد عامر: ١٣٤، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١م.

(٣)السابق: ١٣٣.

- ثم أثر ذلك في سياق النص القرآني ظلالا وإيحاء، وذلك بتقسيم البحث إلى خمسة مباحث هي:
- المبحث الأول: البدائل الدلالية.
- المبحث الثاني: ملاءمة الألفاظ لمعانيها.
- المبحث الثالث: اختيار اللفظ لتناغم بنيته الصرفية.
- المبحث الرابع: دقة التصوير بالحركة
- المبحث الخامس: الفاصلة بين التناسق الصوتي ورعاية المعنى.

إن أهمية هذه الدراسة أنها تتجه إلى تلمّس الدلالة في عناصر اللغة: الصوتية والصرفية في الخطاب القرآني؛ لإظهار فرائد المباني، وفوائد المعاني الكامنة في هذا الكتاب المعجز التنزيل الذي جاءت جل عناصره متآخية متعانقة فيه، يأخذ بعضها بيد بعض من الجرس والإيقاع إلى الظلال والإيحاء دقة وإيجازًا وروعة بيان معجز. وقديمًا توصَّل ابن جني إلى وجود علاقة بين الأصوات والمعاني، حيث تناول هذا في كتابه (الخصائص) تحت عنوان: (مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها)، ثم قال تحته: (وهذا باب عظيم واسع؛ وذلك أنهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبِّرة عنها، فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها وذلك أكثر مما نقدّره، وأضعاف ما نستشعره من ذلك قولهم: (خَضِم – وقضِم، فالخَضْم لأكل الرطب) والقَضم للصلب اليابس، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها مع اليابس،حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث)[1].

فكلام ابن جني يدل على فكر نيّر، فهو يشير إلى أن العلاقة بين الأصوات والمعاني من الثراء اللغوي المميز، فاختيار المفردة واستعمالها في القرآن الكريم

(١)الخصائص، صنعه: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد على النجار، ١٥٧/٢-١٥٨، ط٢.

جاء نتيجة للتمحيص والانتقاء الفذ، ولذلك لا نخشى فيها تنافرًا ولا شذوذًا، وإنما نجد جمال التناسب والتوافق فيها ساحرًا بديعًا متناغمًا مع أجواء النظم القرآني وسياقه، (ألفاظ القرآن الكريم تختلف ولا تراها إلا متفقة وتفترق ولا تراها إلا مجتمعة، وتذهب في طبقات البيان، وتنتقل في منازل البلاغة، وأنت لا تعرف منها إلا روحًا تداخلك بالطرب، وتشرب قلبك الروعة، وتنتزع من نفسك حسن الاختلاف الذي طالما تدبَّرت به سائر الكلام، وتصفَّحت به على البلغاء في ألوان خطابهم، وأساليب كلامهم، وطبقات نظامهم، مما يعلو ويسفل، أو يستمر وينتقض، أو يأتلف ويختلف... فأنت ما دامت في القرآن حتى تفرغ منه، لا ترى غير صورة واحدة من الكمال، وإن اختلفت أجزاؤها في جهات التركيب وموضع التأليف، وألوان التصوير، وأغراض الكلام كأنها تفضي إليك جملة واحدة حتى تؤخذ بها)[١].

مشكلة البحث:

إن من أهم الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث هو عدم توفر مراجع حديثة في هذا الموضوع، إلا شذرات بسيطة، معتمدة بشكل كبير على تحليل الآيات القرآنية والإشارات التي وردت في ثنايا كتب التفسير.

الدراسات السابقة:

تناول الباحثون المفردة القرآنية في التعبير القرآني بجانبيها المادي والمعنوي بشكل عام، اعتمادًا على دراسة مخارج الأصوات وصفاتها، مع التوجيه إلى البناء الصرفي وعلاقة ذك بالجرس الإيقاعي، والبعد الإيحائي في بعض من سور القرآن الكريم.

(١)إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي: ص٢٣٣.

ومن أهم الدراسات التي اعتمدت عليها الباحثة:

دراسة أحمد ياسوف، بعنوان: (جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير). فقد هدفت الدراسة إلى الوقوف على الجوانب الجمالية للمفردة القرآنية بصورة عامة، ثم دراسة إسهام المفردة القرآنية في الجمال البصري، ثم جمال المفردة السمعي، ثم أكمل الباحث الجوانب ببحث الظلال التي تضيفها المفردة على المعنى، إلى آخر ما هنالك من دراسات فنية جمعت بين القديم والحديث، بالإضافة إلى فنون البلاغة واللغة والإعراب.

ويهدف البحث (من بلاغة التعبير اللفظي في الخطاب القرآني "دراسة تحليلية" إلى دراسة المفردات الأحادية في التعبير اللفظي، والتي وردت في السياق القرآني لأول مرة صيغة ومادة.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل الآيات التي وردت فيها المفردة لأول مرة على المستوى الصرفي والصوتي والدلالي ما ملكت إلى ذلك سبيلًا، وذلك بتقديم توطئة موجزة للمعنى اللغوي للمفردة ثم تناول ما يناسب المبحث الذي أنا بصدد الحديث عنه، موضحة اللطائف البلاغية في سياق هذا التعبير اللفظي، وذلك في ضوء المنهج التحليلي.

التمهيد:

التعبير اللفظي هو عبارة عن الهيكل البنائي للخطاب أو النص، فهو مفهوم واسع لا يقتصر على النظرة للجوانب التركيبية في النص بل يتجاوز ذلك، للوقوف على الجوانب الصوتية والدلالية، والنحوية الصرفية، وتضام هذه المعطيات اللغوية، لتؤلف بناء كاملًا يضفي بعلاقاته جملة من المعاني والإيحاءات، ليلبسها مفردات النص، يقول الدكتور سعيد بحيري: (إن الإفهام أو التواصل لا يتحقق إذن إلا بوقوع المخاطب على قصد المتكلم من خلال التعبير اللغوي الذي يضم العناصر المنطوقة، والقرائن التي تضم عناصر منطوقة، وأخرى غير منطوقة)[٣]، ومن يقف على بعض الإشارات عند الجرجاني يجده يتجه للنص بنظرة لغوية وبلاغية شاملة، فهو يشير (إلى أن الشعر لا يسند إلى الشاعر بكونه تكلَّم به ونطق كلماته، بل من جهة ما صنع من المعاني، وألبس المفردات حلة من تلك المعاني، وهذا ما يميز الشاعر عن الراوي)[٤].

والتعبير القرآني تعبير فريد في علوه وسموه، فلم توضع فيه الألفاظ عبثًا، بل هي موضوعة وضعًا دقيقًا بحساب دقيق، يقول الدكتور السامرائي: "إن التعبير القرآني تعبير فني مقصود،كل لفظة بل كل حرف فيه وضع موضعًا فنيًّا مقصودًا".[١]

فألفاظ القرآن الكريم لها جمالها المتميز المتناغم، وتناسقها الكامل مع المعنى، وائتلافها مع دلالات المعنى المصاحبة، بحيث تؤثِّر في المعنى وتؤدي هدفًا كبيرًا لا يمكن تحقيقه بدونها أو بغيرها. واللفظة القرآنية بشتى أشكالها وصيغها متماسكة مع أخواتها، متحدة في السياق ومتماشية مع الغرض والمعنى.

المبحث الأول

البدائل الدلالية

ويقصد به الاختيار بين بدائل لغوية متعددة تناسب السياق القرآني، ويطلق عليه الاستصحاب اللغوي، وينشأ اختيار مفردة دون أخرى؛ لما يقتضيه سياق الآية، وهو مقصود ويكون لغرض بلاغي، حيث تؤدي اللفظ المختارة إلى دلالة زائدة ذات إيحاءات وظلال، يضفي على المعنى تناغمًا، يتسق وسياق الآية الكريمة، ومنه:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾.(١)

وردت هذه الآية الكريمة في سياق إثبات قضية الحشر والبعث بعد الفناء، وإثبات قدرته -سبحانه- على كل شيء؛ فقد ذكر المفسرون أن رجلًا اسمه عزير مرّ على قرية بعد خرابها، فقال مستفهمًا: كيف يعمر الله هذه القرية بعد هدمها، وزوال آثارها؟ والمراد استبعاد عمرانها بالبناء والسكان بعد أن خربت وتفرق أهلها ولكنه في الوقت نفسه يستعظم قدرة الله تعالى؛ لما رأى شدة خرابها، فقوله -كما يقول الدكتور وهبة الزحيلي-: (اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء، واستعظام لقدرة المحيي، فأماته الله مئة عام ثم بعثه، بعثه بسرعة وسهولة، كأنه كان نائمًا ثم استيقظ، فوجد القرية قد عمرت بعد سبعين سنة من موته، وتكامل ساكنوها، ورجع إليها بنو إسرائيل، فقيل له بواسطة الملك: كم وقتًا لبثت؟ وسئل هذا السؤال؛ ليظهر عجزه عن الإحاطة بشؤون الله تعالى، فقال: لبثت يومًا أو بعض يوم على التقريب والظن والتخمين؛ لأنه مات أول النهار ثم بعثة الله في

(١) سورة البقرة الآية: ٢٥٩.

آخر النهار، فلما رأى الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم، فقوله هذا على ما عنده وفي ظنه، فلا يكون كاذبًا فيما أخبريه فأجيب: بل لبثت مائة عام، فانظر؛ لترى دلائل قدرتنا إلى طعامك وشرابك طوال هذه المدة لم يتغير، ولم يفسد مع أن العادة جرت بفساد مثله بمضي مدة قليلة)[١]. فنحن في هذه الآية أمام استفهامين:-

الأول: {أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا}؟

والثاني: {كَمْ لَبِثْتَ}؟

فالأول صادر من العبد، والثاني من المخاطب، والمخاطب فيه العبد الذي مرَّ على قرية وهي هالكة، يقول الدكتور عبد العظيم المطعني -رحمه الله-: (والخلاصة أن الاستفهام هو فعلًا للاستبعاد المبني عن شك لدى المستفهم، حمله على هذا الاستبعاد المشوب بالتعجب والحيرة. أما الاستفهام الثاني فهو فيما نرى للتجهيل، أعني تجهيل المخاطب وتبيين خطئه في تحديد المدة التي قضاها ميتًا)[٢]، فكان ذلك من الآيات الناطقة بطلاقة القدرة الإلهية.

إن المتأمل في سياق هذه الآية يسترعي انتباهه التعبير باللفظة القرآنية (لم يتسنَّه) الوحيدة صيغه ومادة. فلماذا لم يأت التعبير بقوله: (لم يتغير)؟ ما الذي تضيفه كلمة (لم يتسنه) من دلالات إيحائية للنص القرآني، لا يمكن لأي لفظة أخرى أن تحل محلها؟ فـ(لم يتسنه) أي: لم يتغير، فهو من (أسن الماء يأسن وأسن يأسِنُ ويأسُنُ إذا تغيَّر)[٣]، و(يأسِنُ أسْنًا وأسونًا وهو الذي لا يشربه أحد

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي: ٣/٣٣-٣٤، دار الفكر المعاصر، بيرت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٢) التفسير البلاغي في القرآن الحكيم، د عبد العظيم المطعني: ١/١٤٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٠ه- ١٩٩٩م.

(٣) مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان: ١/٩٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

من نتنه، وأسِن الرجل إذا دخل البئر فأصابته ريح منتنة من ريح البئر أو غير ذلك، فغشي عليه أو دار رأسه)[1].

إذن: هذه المفردة القرآنية (لم يتسنه) إضافة إلى النفي الوارد في سياقها أوحت بظلالها، وأعطت مدلولًا دقيقًا لا يتحقق في كلمة (لم يتغير)، فالله -عز وجل- أراد أن يثبت بكمال قدرته أنه مع طول المدة التي مكثها -وهي المائة عام- لم يصب طعامه وشرابه، أي: تغيّر لا على مستوى الرائحة، ولا على مستوى الطعم، فالعدول عن كلمة (لم يتغيِّر) إلى هذا التعبير القرآني -والله أعلم- استدعاه المقام في سياق هذا الخطاب الإلهي، فكلمة (لم يتغيَّر) قد توحي إلى أن الطعام والشراب لم يتغيرا شكلًا، إنما الطعم قد يحدث له خلاف ذلك مع طول المدة ولو في جزء من أجزائه، فهذه الكلمة لم تعط ما أعطته دلالة المفردة القرآنية.

يقول سيد قطب: (وهكذا يلقي التعبير القرآني بظلاله وإيحاءاته، فيرسم المشهد كأنما هو اللحظة شاخص تجاه الأبصار والمشاعر وتبعًا لطبيعة التجربة، وكونها تجربة حسية واقعية نتصوَّر أنه لابد من وجود آثار محسوسة تصوِّر فعل مائة عام...هذه الآثار المحسوسة كانت متمثلة في شخصه أو في حماره)[2]، وهذا من تمام رحمة الله -تعالى- به وعنايته ولطفه أن أراه الآية عيانًا، ليقتنع بها[3]، فكانت النتيجة إقرار العبد الذي مرَّت به التجربة (فلما تبيَّن له قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير)[4].

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ ، مادة: أسن: ١٦/١٣.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٢٩٨/١-٢٩٩، دار الشروق، بيروت، ط١٥، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٣) ينظر: فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني:٣٥٤/١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

ومن تمام المعنى أن الهاء للاستراحة -كما يقول بعض المفسرين- وهو متسق مع عدد السنوات التي مرَّت على الطعام، جاء في الموسوعة القرآنية: "وقوله: لَمْ يَتَسَنَّهْ معناه لم يتغير والهاء للاستراحة".(١)

ومن الصور كذلك ما جاء في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾(٢).

جاءت هذه الآية الكريمة في معرض وحي الله لموسى -عليه السلام- إجابة لطلب قومه بني إسرائيل {أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ}(٣)، وتأمَّل قوله -تعالى-: (فَانْبَجَسَتْ)، وما يوحي به جرس هذه الكلمة من إيقاع صوتي مؤثِّر، فـ(الباء والجيم والسين تفتَّح الشيء بالماء خاصة، قال الخليل: البَجَس انشقاق في قرية أو حجر أو أرض ينبع منها ماء، فإن لم ينبع فليس بانبجاس، وقال: الانبجاس عام والنَّبوع للعين خاصة، والسحاب يتبجس مطرًا)(٤).

واللافت للانتباه أن التعبير القرآني في هذه السورة جاء بكلمة (فَانْبَجَسَتْ)، ومرة أخرى في سياق آخر بقوله: (فانفجرت)(٥).

وقبل أن أوضح سبب ورود فانفجرت-في سورة البقرة- وكلمة فانبجست في -سورة الأعراف- لابد من معرفة معنى كلٍّ منهما، فإذا تأملنا (انفجرت) هو

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥ه، الباب الثاني عشر، غريب القرآن ٣٣٨٢/١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٠.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ٤٧٨، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(٤) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: ١٩٩/١، دار الجيل بيروت، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٥) قال تعالى: (وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً). البقرة، الآية: ٦٠.

خروج الماء بقوة، (وانبجست) هو مجرد ظهوره فقط، أي: ليس بقوة -كما قال المحققون العلماء- عندما اتضح المعنى فوقفت لكي أسأل: نحن أمام حدثين، فأي من الحدثين حدث لعصا موسى؟ هل خرج الماء بقوة بدليل قوله (انفجرت)، أم خرج الماء بضعف بدليل قوله: (انبجست)؟.

هل يصح أن نستبدل هذه الصيغة (انفجرت) بالصيغة الأخرى (انبجست)؟

كل هذه التساؤلات سوف تتضح عندما نستعرض ونوضِّح هذا الإعجاز القرآني في قوله: (انفجرت).

في سورة البقرة جاءت بهذا اللفظ، ذي الجرس القوي في حروفه، الذي يتناغم مع معناه، وهو خروج الماء بقوة، هذا الماء الذي خرج يكفي الشرب والاغتسال وغيره. كما ورد في آخر سفر العدد في توراة بني إسرائيل، حيث ذكر أن موسى ضرب العصا مرتين: المرة الأولى: خرج الماء ضعيفاً فأصبحت الكمية قليلة لا تكفي الشرب والاغتسال، وهذا القول يتناسب مع قوله تعالى في سورة الأعراف: (فانفجرت ...).

لكن ما الفرق الدلالي بين هاتين المفردتين؟

يقول البغوي: (وأكثر أهل التفسير يقولون: انبجست وانفجرت واحد)، وقال أبو عمرو ابن العلاء: انبجست عرقت وانفجرت، أي: سالت، فذلك قوله تعالى: فانفجرت)، أي: فضرب، فانفجرت، أي: سالت)[1]. ويقول ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز: (الانفجار) انصدع شيء عن شيء ومنه انفجر، والانبجاس في الماء أقل من الانفجار)[2]. ويقول الألوسي: (والانفجار انصداع شيء من شيء، ومنه الفجر والفجور، وجاء هنا (انفجرت)، وفي الأعراف (انبجست)، فقيل: هما سواء، وقيل: بينهما فرق وهو أن الانبجاس أول خروج الماء، والانفجار اتساعه

(١) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، أبو محمد الحين بن مسعود، تحقيق: خالد عبد الرحمن ومروان سوار:٧٧/١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبدالشافي:١٥٢/١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣ه-١٩٩٣م.

وكثرته، والانبجاس خروجه من الصلب، والآخر خروجه من اللين، والظاهر استعمالها بمعنى واحد)[١].

وأقول -والله أعلم بأسرار كتابه-: إن هناك فارقًا دلاليًا في استعمال الكلمتين، فكلمة (الانفجار) مأخوذة من تفجيرك للماء، والمفجّرْ: الموضع يتفجَّر منه، وانفجر الماء والدم نحوهما من السيّال، وتفجّر وفجّر -شدّد للكثرة-، وانفجرت عليهم الدواهي: أتتهم من كل وجهٍ كثيرة بغتة، وأفجر إذا عصى، وأفجر إذا كفر، والفجر: كثرة المال، وفجَّر إذا كذب وأصله الميل، والفاجر: المائل، وفجر الرجل بالمرأة يفجر فجورًا زنًا)[٢].

إذن من خلال المدلول اللغوي لكلمة (انفجر) تبيَّن أنها -وباجتماع أصوات الحروف- تعطي دلالة القوة والكثرة والشدة عكس كلمة (فانبجست)، فلكل لفظ قرآني إيحاءاته الدقيقة الخاصة به، قال الرازي في مفاتيح الغيب: (وقال آخرون: الانبجاس خروج الماء بقلة، والانفجار خروجه بكثرة، وطريق الجمع: أن الماء ابتدأ بالخروج قليلًا ثم صار كثيرًا... انتهى)[٣]. أي: أن الانبجاس ابتداء الانفجار والانفجار بعده غاية له)[٤].

وعليه فإن اللفظ القرآني (انفجر) يغطي دلالة تدفق الماء من الحجر بشدة بينما يعبر اللفظ انبجس عن تدفق الماء وسيلانه بشكل هادئ، وهو اختلاف في التعبير بين المفردتين استدعاه المقام وتطلَّبه المعنى، قال أبو جعفر بن الزبير:

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي: ٢٧١/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ، ١٩٩٥م.

(٢) لسان العرب، مادة فجر:٥/٤٥-٤٦.

(٣) التفسير الكبير، الإمام الرازي: مج ٣٣/٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) قال الراغب في المفردات: (الانبجاس) أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل منه وفيما يخرج من شيء واسع. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني ٤٧/١، مكتبة نزار مصطفى، السعودية ١٤١٨-١٩٩٧.

(إن الواقع في الأعراف طلب بني إسرائيل من موسى -عليه السلام- السقيا، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾، والوارد في البقرة طلب موسى -عليه السلام- من ربه، قال تعالى: ﴿وإذ استسقى موسى لقومه﴾، فطلبهم ابتداء فناسبه الابتداء، وطلب موسى-عليه السلام- غاية لطلبهم؛ لأنه واقع بعده ومرتب عليه، فناسب الابتداء والغاية الغاية، فقيل جوابًا لطلبهم: (فانبجست)، وقيل: إجابة لطلبه (فانفجرت)، وتناسب ذلك وجاء على ما يجب)[1]، فكلمة (فانبجست) جاءت وحيدة صيغة ومادة في القرآن الكريم، مما يعطي لهذه المفردة القرآنية مكانة بلاغية لا يمكن لأي لفظة أخرى أن تسد مسدها، فكل لفظ في القرآن لو أبدل مكان لفظ لارتبك التعبير واضطرب، ولخرج من باب البلاغة إلى باب الكلام المألوف.

وهناك تحليل آخر متسق مع حالة المخاطبين في الآيتين وهي المناسبة الحالية، فمما سبق يتضح أن الانفجار أعم وأكثر من الانبجاس، واختلف التعبير بهما؛ نظرًا لاختلاف حال المتلقِّي، فلما كان حال المتلقِّي من المؤمنين، ناسبهم لفظ انفجر والذي يدل على خروج الماء بكثرة رضاء من الله لهم، لكن لما اقترفوا المعاصي قلَّت المياه فاستحقوا العقاب، وجاء التعبير مناسبًا للقلة بلفظ (انبجس)، وقد يكون التفسير هو ملاءمة الماء لحاله ووقت خروجه، فالانبجاس أول خروج الماء ثم ينفجر، فالانفجار تعبير ما انتهى إليه.

وللنظر -أيضًا- إلى التحليل الصوتي للتركيب اللغوي (بجس) و (فجر)، والفرق بين حرفي السين والراء، فالسين حرف مهموس وهو من حروف الصفير، بينما الراء حرف مهجور يتسم بالتكرار، والهمس في سين (بجس)

(١) ملاك التأويل القاطع بدوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، تحقيق: سعيد الفلاح: ٢١٢- ٢١٣، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٣-١٤٠٣هـ.

متسق مع خروج الماء رقيقًا. أما الجهر والتكرار في حرف الراء فيناغم ويتناسق مع كثرة الماء وشدة خروجه.

بالإضافة إلى أن سياق الآيات في سورة البقرة الذي يذكر الثناء والمدح والتفضل على بني إسرائيل جاء بالكلمة التي تدل على الكثير، فجاءت كلمة (انفجرت). أما في سورة الأعراف فالسياق في ذم بني إسرائيل فذكر معها الانبجاس وهو أقل من الانفجار وهذا أمر مشاهد، فالعيون والآبار لا تبقى على حالة واحدة، فقد تجف العيون والآبار، فذكر الانفجار في موطن والانبجاس في موطن آخر، وكلا المشهدين حصل بالفعل.

المبحث الثاني

ملاءمة الألفاظ لمعانيها

ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ (١)؛ إذ امتنع بنو إسرائيل من قبول ما في التوراة فألزمهم الله -عز وجل- بالعمل، ونتق فوق رؤوسهم الجبل فصار فوقهم كأنه ظله(٢)، يقول ابن كثير: (ثم سار بهم موسى -عليه السلام- إلى الأرض المقدسة، وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب، وأمرهم بالذي أمره الله أن يبلغهم من الوظائف، فثقلت عليهم وأبوا أن يقرّوا بها حتى نتق الله الجيل فوقهم كأنه ظلة)(٣).

تأمَّل معي التعبير القرآني بالمفردة القرآنية (نتقنا) في سياق هذا الخطاب لمحمد -صلى الله عليه وسلم-؛ لأخذ العبرة والعظة من قصة موسى -عليه السلام- مع بني إسرائيل في مخالفة قومه لأحكام دينهم، أي: (واذكر لهم يا محمد أيها النبي؛ إذ رفعنا فوق جبل الطور، وأصبح كأنه سقيفة لما أبوا أن يقبلوا التوراة لثقلها، وعلموا وأيقنوا أنه ساقط عليهم؛ لأن الجبل لا يثبت في الجو)(٤)، فهذه اللفظة القرآنية الواردة بصيغة الماضي (إذ نتقنا) الواقع في حيز الشرط، والمسند إلى ضمير العظمة وردت في القرآن وحيدة صيغة ومادة، وما ذلك إلا لتناسب اللفظ مع المعنى، و(النتق) النون والتاء والقاف أصل يدل على جذب شيء وزعزعته وقلعه من أصله، تقول العرب: نتقت العرب من البئر: جذبته، والبعير إذا تزعزع حِملُه نتق عُرى حباله، وذلك جَذْبُه إياها فتسترخي، وامرأة

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧١.

(٢) ينظر تفسير السعدي:١٧١.

(٣) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير:٥١٠، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠-١٩٩٠م.

(٤) التفسير المنير:١٥٢/٩.

ناتق: كثر أولادها، وهذا قياس الباب كأنهم نتقوا منها نتقًا)[١]، وفي لسان العرب: (ونتقت الشيء إذا حركَّته حتى يسفك ما فيه)[٢]، ويقول الراغب في المفردات: (ومنه استعير امرأة ناتق إذا كثر ولدها، وقيل: زند ناتق، أي: وارٍ، تشبيهًا بالمرأة الناتق)[٣]، ومن الدلالة اللغوية لهذه الكلمة نجد الإيحاء بمعنى الجذب والنزع بقوة.

والتحليل الصوتي لهذه الكلمة يتطلب النظر إلى ثلاثة أمور، هي:-

قوة الله -سبحانه وتعالى- وكمال قدرته، وضخامة الجبل وقوته، وسرعة الجذب، فالأصوات المكونة للكلمة، هي: (النون والتاء والقاف)، (النون) صوت سهل وبسيط تبدأ به الكلمة وتنتهي؛ باعتباره ضمير الفاعل؛ ليدل على الإحاطة الكاملة وقدرة الله سبحانه وتعالى، وسهولة حدث الفعل عليه، ويأتي صوت التاء (الانفجاري المهموس)؛ ليدل على سرعة تنفيذ الحدث. كما أن صوت (التاء) لا يستغرق زمنًا نطقيًا، ثم يأتي أخيرًا صوت القاف (الانفجاري المفخم)؛ ليؤكد قوة الله وقدرته وقوة الجبل لكنه لا يستعصي على قدرته سبحانه وتعالى)[٤].

فتدبَّر تلك الملائمة بين أصوات هذه الكلمة وما تثيره من دلالة إيحائية على المعنى، فكانت عنصرًا إبداعيًا تصويريًا مهمًا. يقول ابن عاشور: وهذه آية أظهرها الله لهم؛ تخويفًا؛ لتكون مذكرة لهم)[٥]. فهو خطاب ربَّاني يحمل روحًا وإعجازًا وقدسية نص يتعبّد به.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣٨٧/٥.

(٢) لسان العرب، مادة: نتق:٣٥١/١٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٦٥٤/٢

(٤) مجلة الدراسات العربية (التعبيرية الصوتية في النص القرآني)، عبد المنعم سيد، العدد١٩، مج٢ (٢٠٠٩)، جامعة المنيا، مصر: ٥٩٥.

(٥) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، ١٦٤/٩، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

وفيه ما يسمى بالحكاية الصوتية، بمعنى أن أصوات الكلمات تحاكي معناها وتوحي إليه، وهو ما ذكره الخليل في مقدمة العين وابن جني في الخصائص عن قوة اللفظ؛ لقوة المعنى.

وهناك ثمة فرق في سياق الآيات بين الجبل والطور، فاستعمل الجبل مع النتق واستعمل في موضع آخر الطور، قال تعالى: ﴿رفعنا فوقهم الطور بميثاقهم﴾[1]، في حين قال في موضع آخر: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة﴾[2]؛ وذلك: ((أن التهديد في آية الأعراف أشد فاستعمل لفظ (الجبل) لذلك، فإن (الجبل) اسم لما طال وعظم من أوتاد الأرض ولا يشترط في الطور ذلك، فالجبل أعظم من الطور، ولذلك يجيء في مقام الشدة والهول وبيان المقدرة العظيمة اسم (الجبل)، وذلك نحو قوله تعالى في قول موسى -عليه السلام- : ﴿رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعلها دكًا وخر موسى صعقًا﴾[3]، فانظر كيف اختار لفظ الجبل على الطور.

ومن الألفاظ الأحادية الواردة في النظم الحكيم ما جاء في سورة يوسف -عليه السلام-: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[4].

قرأ المدنيان نافع من السبعة، أبو جعفر من السبعة (يرتع ويلعب) بالياء مع كسر عين يرتع محذوفًا منه حرف العلة للجزم -والماضي من يرتع ارتعى، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي من السبعة ويعقوب وخلف من الثلاثة يرتع ويلعب بالياء ولكن مع سكون العين للجزم، والماضي رتع، وفي الآية قراءات أخرى.[5]

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٢.

(٥) التيسير في القراءات السبع، تأليف: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تصحيح: أوثورتزل-إستانبول :ص١٢٨. التذكرة في القراءات : ص٤٦٦، الإتحاف: ١٤٢/٢.

فأما في القراءة الأولى: يرتع بحذف حرف العلة لجزمه، فوزنه يفتعل من الرعاية. تقول: ارتعى القوم إذا تحارسوا ورعي بعضهم بعضًا. أما في القراءة الثانية: يرتع بالياء مع سكون العين فوزنه يفعل ومعناه يلهو وينشط، فإذا قلت: رتعت الماشية إذا رعت كيف شاءت، وكذلك الإنسان، ومنه قول الخنساء:-

تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ، حتى إذا ادّكرَتْ .....

فالفعل مجزوم في القراءتين؛ وذلك لأنه جواب الأمر[١]، وقرئ بالياء فالضمير ليوسف، وقرئ بالنون فالضمير ليوسف وإخوته.

يقول الشوكاني في تفسير هذه الآية: (لما أجمع الإخوة رأيهم على أن يلقوه في غيابات الجب جاؤوا إلى أبيهم وخاطبوه بلفظ الأبوة؛ استعطافًا له وتحريكًا للحنو الذي جُبِلَت عليه طبائع الآباء للأبناء، وتوسلًا بذلك إلى تمام ما يريدونه من الكيد الذي دبروه)[٢].

التعبير باللفظة القرآنية (يرتع) التي جاءت في سياق خطاب الأبناء لأبيهم يسترعي الانتباه، فقد ناسبت هذه اللفظة سياق المعنى الذي جاءت من أجله، فهي وحيدة في القرآن صيغة ومادة، فإخوة يوسف -عليه السلام- يحملون الحقد عليه؛ ظنًا منهم أن أباهم يؤثره عليهم، يقول القرطبي: (ويْرتع بإسكان العين إلا أنه ليوسف عليه السلام)[٣]، فهذه المفردة القرآنية (يرتع) تلقى إشعاعًا خاصًا من حيث لا يسدّ غيرها هذا المكان، وتنفرد بمكانها من حيث ملائمة أقصى التأثير، فإذا قرأناها في الآيات وجدنا أنها تتجاوز كل تعابيرنا، متمكنة من موضعها بمنزلة اللبنة المطلوبة للبناء الكلي، فـ(الرتع): الراء والتاء والعين كلمة واحدة،

---

(١) معاني القرآن، أبو زكريا الفراء يحي بن زياد: ٣٨/٢، مكتبة عالم الكتب، طبعة بيروت الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

(٢) فتح القدير: ١٢/٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: مج٥/٩٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

وهي تدل على الاتساع في المأكل، ويقول: رتع يرتع إذا أكل ما شاء، والمراتع: مواضع الرّتعة، وهذه المنزلة يستقر فيها الإنسان)[1]، و(الرتع) الأكل والشرب رغدًا في الريف، يقال: خرجنا نَرْتَع ونلعب أي: ننعم ونلهو، ورتع فلان في مال فلان: تقلب فيه أكلًا وشربًا، وقوم مَرْتعون: راتعون إذا كانوا مخاصيب)[2].

إذن: هذه الكلمة بجرسها الإيقاعي تعطي إيحاء بالسعة، والشعور بالأنس والسعادة، وهذا ما أراد إخوة يوسف –عليه السلام– إثباته لوالدهم، ففي كل مرة لا يسمح الأب بذهاب ابنه يوسف –عليه السلام– معهم؛ لعدم ثقته بهم ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾[3]. فما كان منهم بعد تفكير إلا أن قالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. يقول الراغب: (الرتع أصله أكل البهائم، ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل كثيرًا).[4]

ويقول ابن عاشور: (ارتعى هو افتعال من الرعي للمبالغة فيه، فهو حقيقة في أكل المواشي والبهائم، واستعير في كلامهم للأكل الكثير؛ لأن الناس إذا خرجوا إلى الرياض والأرياف للعب والسبق تقوى شهوة الأكل فيهم فيأكلون أكلًا ذريعًا، فلذلك شبَّه أكلهم بأكل الأنعام، وإنما ذكروا ذلك؛ لأنه يسرُّ أباهم أن يكونوا فرحين. ورتع إذا أقام في خصب وسعة من الطعام، والتحقيق أن هذا مستعار من رتعت الدابة إذا أكلت في المرعي حتى شبعت)[5]، فلهذه الاستعارة التصريحية في هذه اللفظة القرآنية أبعادها الجمالية في سياق هذا الخطاب في إقناع الأب بخروج الابن، فإنه (لما تقرر في أذهانهم التفريق بين يوسف وأبيه أعملوا الحيلة على

(١) معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٤٨٦.
(٢) لسان العرب: ١١٣/٨.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١١.
(٤) المفردات: ٢٤٩/١.
(٥) التحرير والتنوير:٢٢٨/١٢

يعقوب وتلطَّفوا في إخراجه معهم، وذكروا نصحهم له، وما في إرساله معهم من انشراح صدره بالارتعاء واللعب؛ إذ هو مما يشرح الصبيان ويفرحهم)[١].

فأضفت الكلمة إيحاءً جديدًا يتسق مع ما أراده إخوة يوسف.

وعندما يذاع ما كان من امرأة العزيز مع يوسف -عليه السلام- وتتناقله نسوة المدينة باللوم والشماتة، يرصد لنا النظم الحكيم هذا الحوار الفريد من نوعه، البليغ في نظمه وعبارات: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[٢].

تأمَّل وتدبَّر قوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ وما يوحي به ظلال هذا التعبير القرآني، فـ (الشين والغين والفاء كلمة واحدة، والشغاف وهو غلاف القلب)[٣]، و(جلده دونه كالحجاب وسويداؤه)[٤]. أي: (أوصل الحب إلى شغاف قلبها)[٥]. (وفسر ابن عباس قد شغفها حبًا، قال: دخل حبه تحت الشغاف)[٦]، فما أروع هذا التعبير القرآني! فكان حب هذا الفتى قد مزَّق حجاب قلبها ووصل إلى سويداء فؤادها، أو أن حبَّه أحاط بقلبها مثل إحاطة الشغاف بالقلب فاشتعل بحبه، وصار حجابًا بينه وبين كل ما سوى هذه المحبة، فلا تعقل صاحبة هذا القلب سواه ولا يخطر ببالها غيره، قال النابغة الذبياني:

وقد حال هم دون ذلك شاغل مكان الشغاف تبتغيه الأصابع[٧]

---

(١) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد معوض: ٢٨٥/٥. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ١٩٥/٣.

(٤) لسان العرب: ١٧٩/٩.

(٥) معجم مقاييس اللغة: ١٩٥/٣.

(٦) لسان العرب، مادة شغف: ١٧٩/٩.

(٧) ديوان النابغة، تحقيق: عباس عبد الستار: ٥٣، ط٣، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.

فهذه الصورة التعبيرية في اختراق الشغاف للقلب (كناية عن صفة التمكين)[١].

قال ابن القيم –رحمه الله–: (إنهن جمعن لها في هذا الكلام واللوم بين العشق الفرط والطلب المفرط، فلم تقتصد في حبها ولا في طلبها. أما العشق فقولهن: (قد شغفها حبًا)، أي: وصل حبه إلى الشغاف قلبها، وأما الطلب المفرط فقولهن: (تراود فتاها)، والمراودة الطلب مرة بعد مرة، فنسبوها إلى شدة العشق، وشدة الحرص على الفاحشة)[٢].

فهذه اللفظة القرآنية شغفها في غاية الروعة التعبيرية الجمالية.

وحين يأبى سيدنا يوسف –عليه السلام– أن يغادر السجن إلا بعد أن تعلن على الناس براءته، وعاد رسول الملك من عند يوسف يطلب منه سؤال النسوة اللائي قطعن أيديهن فحصل الاعتراف من نسوة المدينة بطهارة يوسف وعفته وبعده عن السوء، ثم يأخذ الحق يعلن عن نفسه، فتعلن امرأة العزيز في خطابها الصريح أمام الملك ولأول مرة شهادة الحق التي تغني عن كل شهادة ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾.[٣]

---

(١) التحرير والتنوير: ١٢/٢٦٠.

(٢) التفسير القيم، الإمام ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفيفي: ٣١٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٥١.

المبحث الثالث

اختيار اللفظ لتناغم بنيته الصرفية

قد سبق الحديث عن (كبكبوا) ورأينا أن التكرار في ضوء النماذج القرآنية ظاهرة يتميز بها النص القرآني في مواضيع اقتضاها السياق لتحقيق المقصد بأن القرآن يوظِّف الصوت المتكرر للدلالة على المقصود. (١)

ونحن الآن أمام صورة أخرى من صور التكرار، وهي في قوله تعالى: ﴿الآن حصحص الحق﴾ (٢)، فالحاء من خصائصه الصوتية الهمس والاحتكاك، ويتميز بضعف في النطق؛ لأن الكثير يخلط بينه وبين الهاء. أما الصاد فمن أصوات الصفير ليس لها في الفصحى مقابل مجهور، ما يميزها عن بقية أصوات الصفير الواضح وقوة جرسها.كما أنه تقرر الحقيقة. ومما يعزز التصوير الدلالي هو التشكيل الصوتي نحو الرخاوة، وهما من أيسر الأصوات إنتاجًا في الأداء مما أعطى السياق الاعتراف ونصرة الحق. (٣)

تأمَّل معنى – كلمة – (حصحص)! فلماذا عدل النظم الحكيم عن التعبير بكلمة (وضح الحق)؟ وما الذي تحمله هذه المفردة القرآنية من إيحاءات لا تكون في أي لفظة أخرى؟!

وقد اختيرت هذه المفردة لبنيتها الصرفية.

فقد اقترنت بعض الأوزان الصرفية بدلالاتٍ خاصة من (ذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة والصلصلة... ووجدتُ –أيضًا– (الفعلي) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة، نحو: البشَكى

---

(١) إعجاز التكرار في قصص القرآن: المتشابهات وجرس الكلمة والمشهد التصويري، تأليف د/سامح القليني، دار الصحابة ٢٠١٣ه، ص٩٠/١١.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٥١.

(٣) البناء اللغوي في سورتي البقرة والشعراء–رسالة ماجستير، إعداد د. مني محمد عارف عابد، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين٢٠٠٤م، ص٢٢.

والجَمَزَى والولقى.... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر -أعني باب القلقة- والمثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها). [١]

ونلحظ أن الفعل (حصحص) قد تميَّز بزيادة مقطع صوتي مماثل، الغرض منه تقوية حجم الفعل ليقوَّى أثره في النفس.

هذه اللفظة عدَّها ابن أبي الإصبع من الفرائد القرآنية، فقال في باب الفرائد: (هو باب مختص بالفصاحة دون البلاغة؛ لأنه الإتيان بلفظة تتنزل منزلة الفريد من العقد، وهي الجوهرة التي لا نظير لها، تدل على عظم فصاحة هذا الكلام وقوة عارضته، وجزالة منطقه، وأصالة عربيته، لو أسقطت من الكلام عزت على الفصحاء، ومنها قوله تعالى: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾.[٢]

يقول الراغب: حصحص الحق، أي: (وضح وذلك بانكشاف ما يقهر)[٣]، ويقول ابن منظور: (الحصحصة: الحركة في الشيء حتى يستقر فيه ويتمكَّن منه، ويثبت، وقيل: تحريك الشيء في الشيء حتى يتمكَّن ويستقر فيه، وكذلك البعير إذا أثبت ركبتيه للنهوض بالثقل، ويقال:حصحصت التراب وغيره إذا حركته، فحصته يميناً وشمالاً، والحصحصة بيان الحق بعد كتمانه)[٤].

إذن: المدلول اللغوي لهذه المفردة يوحي باستقرار الشيء وثباته وتمكُّنه ووضوحه بعد كتمانه. فهذا التكرار الصوتي في الكلمة يحاكي تكرار حدث الفعل، فالتكرار فيها يعني الثبات والظهور، والملاحظ أنها تحتوي على صوت واحد يتسم بالوضوح السمعي وهو الصاد، لتوضيح قوة ظهور الحق ووضوحه. وقد عدَّ البلاغيون ذلك الفعل من الشواهد على التناسب بين إيحاء الصوت والدلالة المقصودة للكلمة، يقول ابن عاشور: (أي: ثبت واستقر الحق، والحق هو براءة

---

(١) انظر: الخصائص، لابن جني: ٢/ ١٣٥.

(٢) بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حنفي محمد شرف، نهضة مصر: ٢٨٧.

(٣) المفردات:١/١٥٧.

(٤) لسان العرب:٧/١٥-١٦.

يوسف -عليه السلام- مما رمته امرأة العزيز، وإنما ثبت حينئذ؛ لأنه كان محل قيل وقال وشك، فزال ذلك باعترافها بما وقع، والتعبير بالماضي (حصحص) مع أنه لم يثبت إلا أنه من إقراراها الذي لم يسبق؛ لأنه قريب الوقوع، فهو لتقريب زمن الحال زمن الحال من المضي)[١]، (فإذا اعترف الخصم بأنه صاحبه على الحق، وهو على الباطل لم يبق لا حد مقال)[٢]، ولن يكون هناك مجالٌ للإنكار، ولا سبيلٌ إلى تغيير الحقائق مهما كان ومهما صار، (فكان ذلك لطفًا من الله بيوسف -عليه السلام [٣]-) وانتصارًا له من ظلم سيدة القصر ونسوة المدينة.

وتعد هذه اللفظة من الكلمات الجامعة في اللغة والتي استعملها البيان القرآني، وفيها اعتراف صريح ببراءة يوسف -عليه السلام- ونزاهته وعفته من فاحشة الزنا بعد ظهور الآيات واضحة، والبراهين الساطعة على براءته، فأصبحت تقال لمن ملك برهانًا على عفته ونزاهته، فقد ظهر الحق، وانكشف وبان بعد خفائه ظهورًا واضحًا لا يتحمل الخفاء.

والحصحصة بيان الحق بعد كتمانه، ومن المعلوم أن امرأة العزيز كانت في حالة صراع وإرباك فيما يتعلق بيوسف عليه السلام، فهي تريد معاقبته ولكنها لا تريد قتله، لأنها ما زالت ترغب بمراودته عن نفسه، فاختارت له السجن ليبقى منها قريبًا، ولكنها تعلم أن يوسف عفيف وطاهر، فهي في حالة تردد، هل تعاقبه فتظلمه، أم تصدح بالحق الذي تعلمه عن يوسف؟ فنطقت بالحق بعد تردد، ولكن اختيار القرآن لحروف بعينها دون غيرها لم يكن صدفة كذلك! انظر: حصحص الحق.. حصحص، الحاء حرف ترقيق ثم الصاد تفخيم. إذن ترقيق فاستعلاء، ثم ترقيق فاستعلاء، وكلمة الحق: الحاء استفالة فالقاف استعلاء، وكأنك بين أمواج

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٩١/١٢.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود عمرو الزمخشري: ٤٧٨/٢، دار الكتب العربية.

(٣) الجامع للقرطبي: مج ٥/ج٩-١٣٦.

من التردد الصوتي الطويل، وهذا التردد في أصداء الكلمة لم يكن عبثيًا ولكنه الأكثر ملائمة لجو الآية على الإطلاق، وهذا كلام الله -سبحانه- الذي لا يشبهه كلام البشر! أم كان هذا الاختيار صدفة؟

وتندرج اللفظة -أيضًا- تحت ما يسمَّى بالتناسق الصوتي على مستوى اللفظ، والصوت، والمفرد، والتركيب في القرآن الكريم.

المبحث الرابع

دقة التصوير بالحركة

ويعد التصوير بالحركة طريقًا من طرق الإبانة والتعبير عن المعنى، وهو بذلك يدخل في صميم التصوير البياني لقدرته على تشخيص المعاني المجردة في صور محسوسة بارزة للعيان.

ولا شك أن التصوير بالحركة أو البيان الحاكي للمعاني آكد في الدلالة من البيان القولي الذي تتشكَّل دلالاته ومعانيه عن طريق التعبير باللغة، بسبب ما توفَّر في ذلك البيان الحاكي من مشاهد متحركة زائدة عن الدلالة باللغة، يصل بها إلى قمة النفاذ والتأثير في النفس الإنسانية، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾.(١)

هذه الآية الكريمة جاءت في سياق خطاب المنكرين المستبعدين للبعث بعد الموت وموقفهم من هذه الحقيقة ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾، فـ(النغض) النون والغين والضاد أصل صحيح يدل على هز وتحريك، والانغاض: تحريك الإنسان رأسه نحو صاحبه كالمتعجب منه)(٢)، وقال الفراء: (انغض رأسه إذا حركه إلى فوق وإلى أسفل، وإنما سمي الظلم: نغضًا ونغضًا؛ لأنه إذا عجّل في مشيته ارتفع وانخفض)(٣)، وقال الزمخشري: (أي: فستحركونها نحوك تعجبًا واستهزاء)(٤)، فجاءت كلمة (فسيغضون) متوافقة مع سياق المعنى، فالآية الكريمة وردت في خطاب الكافرين المنكرتين المستبعدين لوقوع المعاد والبعث بعد الموت فهم مع إنكارهم وتعجبهم من هذه الحقيقة نجدهم يجسِّدون أبلغ صور الاستبعاد من خلال حركة الجسد التي يقومون بها؛ سخرية وتعجبًا، فهذا التعبير التصويري

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥١.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٥/٤٥٣-٤٥٤.

(٣) لسان العرب: ٧/٢٣٩.

(٤) الكشاف: ٢/ ٦٧٢.

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ كناية عن التكبر والاستهزاء؛ إذ الانغاض هو تحريك الرأس علوًا وسفلًا، وقد صوَّر هذا العقل حالهم أبرع تصوير، ولولا ذكره لاحتمل استفهامهم (متى هو) أن يكون حقيقًا بريئًا.

وجاءت هذه الحركة في القرآن الكريم في خطاب كفار قريش في إنكارهم للبعث في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.(١)

وأصل النغض -كما قال الجوهري-: "نَغَضَ رأسه يَنْغَضُ ويَنْغِضُ نَغْضًا ونُغوضًا، أي: تحرَّك. وأنْغَضَ رأسه، أي: حرَّكه كالمتعجِّب من الشيء. ومنه قوله تعالى: ﴿فسَيُنْغِضونَ إليك رُؤوسَهُمْ﴾. ويقال -أيضًا-: نَغَضَ فلانٌ رأسه، أي حرَّكه. يتعدَّى ولا يتعدَّى. وكلُّ حركةٍ في ارتجافٍ: نَغْضٌ. يقال: نَغَضَ رحْلُ البعير وثَنِيَّةُ الغلامِ، نَغْضًا ونَغْضانًا. والنَغْضُ: الظليمُ يحرِّك رأسه".(٢)

والتصوير بالحركة في هذه الآية يبرز أمرين: أولهما صورة الذل والانكسار لهؤلاء الكفار أمام هذه الحجج الدامغة، ثانيهما: صورة الاستهزاء والسخرية التي يكون عليها حالهم وهم ينظرون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ويحركون رؤوسهم من أعلى إلى أسفل؛ استنكارًا لقوله واستهزاء به.

وهذا التعبير الفريد ورد في سياق إنكار كفار قريش للبعث، ومع أن هذه القضية بسيطة فقد عرضها القرآن في مواضع عديدة؛ لأنهم (لم يكونوا يتصورنها بهذه البساطة حيث كان يصعب عليهم تصور البعث بعد البلى، ولذلك فهم ينكرونها أشد الإنكار، وقد وضح القرآن حقيقة موقفهم من خلال هذا الاستفهام

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٩-٥٠.

(٢) الصحاح في اللغة، أبو نصر بن حماد الجوهري، مادة: (نغض): ٢/٢٢١.

الإنكاري ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ثم يأتي الرد على هذا التعجب والإنكار بهذا التحدي الذي ينبض بالتهكم والسخرية: "قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ"، وهم عاجزون أن يكونوا حجارة أو حديدًا أو خلقًا آخر، ولكنه قول التحدي والتوبيخ والتقريع، فالحجارة والحديد جماد لا يحس ولا يتأثَّر، وفي هذا إيماء من بعيد إلى ما في تصورهم من جمود وتحجُّر.

أرأيت كيف عبر القرآن الكريم بالحركة (عن هذه الحالة، حالة الرفض المشوب بأشياء كثيرة بقوله: (فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ)؟ أي: يميلونها تلك الإمالة التي تكون ممن يرفض ما تقول ويستبعده، وينطوي في نفسه على استجهالك، وعدم الالتفات إليك وكأنك تقول قبولًا لا يصح ولا يعقل.

وفي سياق خطاب الله -تعالى- مع موسى -عليه السلام- في سورة طه، يقول تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قال هي عصاي أتوكأ بها وأهش بها على غنمي ﴾[١]. جاءت هذه الآية: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ مدخلًا لعرض حديث الله مع موسى -عليه السلام- وقد تصدرت الآية بأداة الاستفهام الصادرة من الله -عز وجل- الذي لزم أن يكون مجازيًا له دلالة بلاغية. وللإمام الزمخشري كلام نفيس في الإبانة عن المعنى المجازي للاستفهام حين قال: (سأله ربه ليريه عظم ما يخترعه -عز وجل- في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة، ليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه- أي: العصا- والمقلوب إليه -أي: الحية- وينبهه على قدرته الباهرة)[٢]. وهذا معناه أن الاستفهام الوارد في هذه الآية هو استفهام تقريري، الغرض منه تقرير موسى -عليه السلام- بإمكانيات الشيء الذي يمسكه بيده اليمنى، ثم تأمَّل الجواب في سياق هذا الخطاب: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾.

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١٧-١٨.

(٢) الكشاف: ٥٧/٣

اللافت للانتباه العطف بذلك الفعل (وأهش)، فما دلالته؟ وماذا تضفي هذه المفردة القرآنية من دلالة إيحائية لا يمكن لأي لفظة أن تفي بالمعنى نفسه؟ الهش: (الهاء والشين أصل صحيح يدل على رخاوة ولين)[1]، و(أهشَّ هشَّا إذا خبط الشجرة فألقاه لغنمه)، فهذه المفردة القرآنية الوحيدة -صيغة ومادة- كان لها إيحاء دلالي ذو أثر على المعنى، (فالمكونات الصوتية للكلمة تصوُّر وتحاكي المعنى فعلًا، فالهمزة صوت توتر حنجري يصوِّر عملية رفع العصي، ليضرب أوراق الشجر، وتكرار هذه العملية التي هي حدث الفعل، وهو حين يفعل هذا يسقط الجاف من ورق الشجر، وهذا ما يصوّره صوت الهاء والشين؛ لما في هذا الورق من هشاشة وأصوات لاحتكاك الورق ببعضه بعضًا، كما أن الشين يعكس صورة انتشار ورق الشجر الجاف على الأرض لما فيه من تفشٍّ)[2].

وللنظر -أيضًا- إلى زيادة الحديث، لم لم يكتف سيدنا موسى بقوله: هي عصاي؟ وما دلالة أهش؟ إنها حالة الاستئناس بمخاطبة الذات العلية.

وفي نعيم الجنة والتلذذ بها من قبل أصحابها، يقول تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾[3].

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات: (لما ذكر -تعالى- أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسله، وهم الذين سبقت لهم من السعادة، وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا، أحسن الله مآبهم وثوابهم ونجّاهم من العذاب وحصل لهم جزيل الثواب، فقال: ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا

(١) معجم مقاييس اللغة: ٦/ ٩.

(٢) مجلة الدراسات العربية (التعبيرية الصوتية في النص القرآني): ٥٩٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٢.

مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا (١٠٣)﴾(حريقها في الأجساد)[١]. فتأمَّل معي -أيها القارئ- التعبير بكلمة (حسيسها) وما توحي به جرس حروفها من إيحاءات تستشعر من خلاله عظيم النعم في أن الصوت الخفي من النار لا يسمع ولا يصل إليهم، (فقد عبَّر عن الحركة بالحسيس)[٢] و(الحس والحسيس: الصوت الخفي، والحسّ بكسر الحاء، وحسّاً وحسيسًا وأحس به شعر به)[٣]، فالله -عز وجل- ينفي عن المؤمنين المنعمين سماعهم لكل ما يكدر نعيمهم فلا تبلغ أسماعهم أصوات النار سالمون من كل ما يفزعهم. فجملة (لا يسمعون حسيسها) (بيان لمعنى (مبعدون)، أي: مبعدون عنها بعدًا شديدًا بحيث لا يلفحهم حرها، ولا يروعهم منظرها، ولا يسمعون صوتها، والصوت يبلغ إلى السمع من أبعد ما يبلغ من المرئي، فهم سالمون من الفزع من أصواتها، فلا يقرع أسماعهم ما يؤلمهم)[٤]. يقول سيد قطب -صاحب الظلال-:-(ولفظة (حسيسها) من الألفاظ المصوّرة بجرسها لمعناها، فهي تنقل صوت النار وهي تسري وتحرق، وتحدث ذلك الصوت المفزع، وإنه لصوت يتفزع له الجلد ويقشعر، ولذلك نجّي الذين سبقت لهم الحسنى من سماعه فضلًا على معاناته- نجوا من الفزع الأكبر الذي يذهل المشركين وعاشوا فيما تشتهي أنفسهم من أمن ونعيم)[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، ص ٨٧٨، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ه.

(٢) مفردات القرآن:١/١٥٢.

(٣) لسان العرب: ٦/٤٩.

(٤) التحرير والتنوير: ١٧-١٥٦.

(٥) في ظلال القرآن: ٤/٢٣٩٩.

ويقابل أهل النعيم، وعظيم نعيمهم أهل النار وبشاعة عقابهم، يقول تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤)﴾[١].

هذه الآيات خطاب من الله -تعالى- لأهل النار قبل دخولهم النار، والإمام الزمخشري فسَّر هذين الاستفهامين بما يفهم من كلامه، أنها للتحسر والتعميم، قال: (يجمع عليهم الغموم والحسرات كلها، فتُجعِل النار بمرأى منهم فيهلكون غمًّا في كل لحظة ويوبخون على إشراكهم، فيقال لهم: أين آلهتكم؟ هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم؟)[٢]. واختصر الإمام أبو السعود بيان المراد منهما، فقال: (وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له الجواب)[٣]. أما الطاهر بن عاشور فخلاصة رأيه أن الاستفهام الأول للتهكم والتوبيخ والثاني للإنكار والتهكم)[٤]، ثم تأمَّل بعد ذلك حين يصوِّر النظم الحكيم كيفية دخول الكفار النار ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾.

<u>وفيها من التناسب بين صفات الصوت ومعنى الكلمة:</u>

وهذه اللفظة بجرسها الإيقاعي (فَكُبْكِبُوا) يقف فيها المتأمِّل أمام صورة تعبيرية إيحائية لا تملكها الكلمات العادية، فـ(الكاف والباء) أصل صحيح يدل على جمع وتجمع، لا يشد منه شيء، ومنه كببت الشيء لوجهه أكبُّه كبًّا، وأكبَّ فلان على الأمر يفعله. والكبكبة: أن يتدهور الشيء إذا أُلقِي في هوة حتى يستقر، فكأنه تردد في الكبِّ، ويقال: جاء متكبكًا في ثيابه، أي: متزملًا، ومن ذلك الكبة

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: من (٩٢) إلى (٩٤).

(٢) الكشاف /٣/٣٢١- ٣٢٢.

(٣) تفسير أبي السعود المسمى إرسال العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي: ٦/٢٥١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩-١٥١.

من الغزل)[١]، فهذه اللفظة بهذا السياق الواردة فيه (كبكبوا) أبلغ من الفعل (كبوا)؛ لما تعطيه المفردة القرآنية من الكب العنيف وشدة العقاب.

كما نجد أن الفعل (كبكب) مضعَّف للمقطع (كب)، فيدل على تكرار الكب وتتابعه. يدل كذلك على الاجتماع والتراكم والتراكب لأهل النار بعضهم فوق بعض، وتتابع كبّهم وإلقاؤهم في النار على وجوههم، ونلاحظ عندما نقرأ (كبكبوا) نقطعها رغمًا عنَّا (فكب.....كبوا) كأننا نقول: كبه وراء كبه، ويرسم النطق والصوت الصورة لك دون أن يقوم مقامها أي لفظ آخر مثل كبكبوا .

وجدير بنا أن نقف عند كلام الزمخشري بشأن جمالية هذه الكلمة؛ إذ يقول: (الكبكبة تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلًا على التكرير في المعنى كأنه إذا أُلقِي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها)[٢]، وبهذا المعنى تبعد الكلمة عن كونها إشارة اعتباطية (فإن انضمام الشفتين ثلاث مرات في هذه المفردة مرة على الكاف لوجود الضم، ومرتين على الباء؛ لأنه حرف شفوي شديد، وهذا الانضمام يصوِّر حركة تكوير الكافر، وهو يتدحرج حتى يصل إلى القعر، ويتجمع جسده كالكرة، وكما تتجمع الشفاه في لفظ هذه المفردة)[٣]، ويقول سيد قطب: (وإننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدفعهم، وتكفئهم وتساقطهم، بلا عناية ولا نظام، وصوت الكركبة الناشئ من الكبكبة، كما ينهار الجرف – فتتبعه الحروف– فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه، وإنهم لغاوون ضالون، وقد كبكب معهم جميع الغاوون هم (وجنود إبليس أجمعون)، (والجميع جنود إبليس

(١) معجم مقاييس اللغة: ١٢٤/٥.
(٢) الكشاف: ٣٢٢/٣.
(٣) جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، أحمد باسوف: ١٦١، دار المكتبي، دمشق، ط١: ١٤١٥-١٩٩٤م.

هو تعميم شامل بعد تخصيص)[1]، فهو تصوير دقيق لحركة سقوطهم في النـــار، فهذه الكبكبة الجماعية أدل على الإهانة وأكثر ملاءمة للمعنى المراد.

وقد يأتي الانسجام تمامًا مع سياق الوعيـــد والتهديـــد لهـــؤلاء الغـــاوين الضالين، كما أن تكرار الباء بما فيها قلقة وانفجارية يأتي مناسبًا للحـــدث مـــع محاكاة صوت الوقوع والاصطدام[2]، فنجد التكرار ظاهرة تميَّز بها النص القرآني في مواقف اقتضاها السياق لتحقيق المقصد المطلوب. وقد التزم به القرّاء العشر؛ لما لها من أثر في تقوية العلاقة بين الصوت والدلالة. أما من الجانب الصـــوتي فهناك تنويع في تكرار الصوامت حسب المواقف، فالقرآن يوظِّف الصوت المتكرر لتقرير الدلالة المقصودة، وقد أدرك ذلك القرَّاء هذا التلوين، فأظهروه بوضوح في قراءاتهم، فأعطوا الأداء حقه.

(١) في ظلال القرآن: ٥/٢٦٠٥.

(٢) موسوعة الجلال والجمال في رسم الكلمة وعلاقته بالجرس والنظم فـــي القـــرآن الكـــريم، د/سامح القليني، تحقيق د/علي النحاس، دار الصحابة، الطبعة الرابعة، ٢٠١٤م، ص٢٤٨.

المبحث الخامس

الفاصلة بين التناسق الصوتي ورعاية المعنى

أطلق علماؤنا على نهايات الآيات القرآنية تسمية (رؤوس الآيات)، تمييزًا لها عن مصطلحات الشعر والنثر، ففي الشعر نقول: صدر البيت وعجزه، وفي النثر نقول: بداية الجملة ونهايتها، فبداية الآية عندهم كنهايتها، رأس، أي: مستوى من الارتفاع والارتقاء لا ينتهي ولا يهبط أبدًا، والوقف عند الرأس يشعر بأن آيات القرآن قمم يرقى القارئ إليها، وكلما مضى في القراءة ازداد رقيًا، فهو صاعد أبدًا، حيث يقال لقارئ القرآن: (اقرأ وارقَ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها).

ومعلوم أن رؤوس الآيات توقيفية، أي: كما جاءت بالتلقي عن سيدنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، والملاحظ في رؤوس الآيات التناسب الصوتي الذي يلفت الانتباه وتستريح له الآذان إلى حد يأخذ بالنفس، ولعله كان أحد الأسباب التي جعلت الوليد يقول بعد سماعه القرآن: (إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة)، وهما من حس اللسان وحسن الأذن. وإذا ما أحببت محاولة الكشف عن الظاهرة بأسلوب علمي، وذلك بتتبع أصوات الحروف والحركات التي تكوّن هذه الفواصل، بهذا التناسق الصوتي المبدع، فإننا نلاحظ هذا جليًّا. ومن الألفاظ المفردة في القرآن صيغة ومادة كلمة (ضيزى) الواردة في خطاب المشركين ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى(٢٢)﴾.[١]

يقول الدكتور المطعني بشأن الخطاب في هذه الآيات الواردة على صورة الاستفهام: (إن الاستفهام الأول (أفرأيتم) المراد منه استحضار صورة المستفهم عنه في الذهن ليحكم عليه وهو حاضر ماثل فيه. أما الاستفهام الثاني {أَلَكُمُ الذَّكَرُ

(١) سورة النجم، الآيات من (١٩) إلى (٢٢).

وَلَهُ الْأُنْثَى} فهو الإنكار مع التقريع والتوبيخ)[1]، أي: (أتجعلون لله البنات بزعمكم ولكم البنون؟ (تلك إذًا قسمة ضيزى)، أي: ظالمه جائرة، وأي ظلم أعظم من قسمة تقتضي تفضيل العبد لمخلوق على الخالق) [2]، فموقع جملة {تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} تعليل للإنكار والتهكم المفاد من الاستفهام (ألكم الذكر وله الأنثى) أي: قد جرتم في القسمة، وما عدلتم فأنتم أحقاد بالإنكار)[3]، فهذه الفاصلة القرآنية (ضيزى) جاءت متوافقة مع المعنى المراد، فـ (ضيز في الحكم، أي: جار، وضازه حقه: يضيزه ضيزًا نقصه وبخسه ومنعه، وضِيزت فلان أضزه وضيزًا: جُرتُ عليه، وقسمة ضيزى، أي: جائرة)[4]، وقد عدَّ ابن الأثير هذه المفردة من الألفاظ الغريبة التي حسنت بحسن موقعها؛ (لأنها جاءت على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه، وغيرها لا يسد مسدها في مكانها، وإذا نزلنا معك أيها المعاند على ما تزيد قلنا: إن غير هذه اللفظة أحسن منها ولكنها في هذا الموضع لا ترد ملائمة لأخواتها ولا مناسبة؛ لأنها تكون خارجة عن حرف السورة، وسأبين فأقول: إذا جئنا بلفظة في معنى هذه اللفظة قلنا: ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذًا قسمة ظالمة. لم يكن النظم كالنظم الأول، وصار الكلام كالشيء المعوز الذي يحتاج إلى تمام، وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام).[5]

(١) التفسير البلاغي للاستفهام، د.عبد العظيم المطعني: ١٧/٤، مطبعة دار التوفيقية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٢) تفسير السعدي: ١٣٨٨

(٣) التحرير والتنوير: ٢٧-١٠٢

(٤) لسان العرب: ٣٦٧/٥-٣٦٨.

(٥) المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: ١٦/١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

ونجد الرافعي نظر إلى هذه المفردة نظرة عميقة شاملة تناولتها من جميع جهاتها وغاص في أعماقها في قوله: (وفي القرآن لفظة غريبة هي أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة (ضيزى) من قوله تعالى: ﴿تلك إذا قسمة﴾ (ضيزى)، ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه. ولو أدرنا اللغة عليها ما صلح لهذا الوضع غيرها، فإن السورة التي هي منها سورة النجم مفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب؛ إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله مع أولادهم البنات، فقال تعالى: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذًا قسم ضيزى﴾، فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها. وكانت الجملة كلها كأنها تصوّر في هيئة النطق بها الإنكار في المرة الأولى والتهكم في الأخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكَّنت في موضعها من الفصل، ووضعت حالة المتهكم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذا المدين فيها إلى الأسفل والأعلى، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية، والعرب يعرفون هذا الضرب من الكلام، وله نظائر في لغتهم، وكم من لفظة غريبة عندهم لا تحسن إلا في موضعها ولا يكون حسنها على غرابتها إلا أنها تؤكِّد المعنى الذي سيقت له بلفظها وهيئة منطقها، فكانت في تأليف حروفها معنى حسيًّا وفي تأليف أصواتها معنى مثله في النفس، وإن تعجب فعجب نظم هذه الكلمة الغريبة وائتلافه على ما قبلها؛ إذ هي مقطعان: أحدهما مد ثقيل والآخر مد خفيف، وقد جاءت عقب غنَّتين في (إذن) و(قسمة)، إحداهما خفيفة والأخرى ثقيلة متفشية، فكأنها بذلك ليست إلا مجاورة صوتية لتقطيع موسيقي، وهذا معنى رابع. أما خامس هذه الكلمات فهو أن الكلمة التي جمعت المعاني

الأربعة على غرابتها إنما هي أربعة أحرف أيضًا)[1]، ففي هذه الكلمة تصوير لبشاعة ما يحكمون به.

و(ضيزى) تعني: جائزة ظالمة، لكن لفظ (ضيزى) جاء هنا ليحقق غرضين، هما: رعاية الفاصلة التي غلبت فيها الألف المقصورة، والثاني: الإيحاء -بما في الضاد من تفخيم- إلى أن الجور في هذه القسمة لا مزيد عليه، ثم انظر إلى قسمات وجهك وأنت تلفظ كلمة (ضيزى) ستلاحظ أن سماتك كمن هو مشمئز.

(١) بلاغة القرآن في أدب الرافعي، د. فتحي عبد القادر فريد: ٢٢٢، دار المنار.

الخاتمة:

وفي الختام، فكل لفظ في النص القرآني قد وضع في موضعه المناسب تمامًا كما أراد الله تعالى، وهذا الترتيب في ذاته سر إعجازي فوق بقية الأسرار، فالصورة الأدائية والشكلية لفظة القرآنية وما توحيه من تناسب وتناغم صوتي مبرزة للجانب الدلالي، ويحققان معًا هذا التواشج التام بين اللفظ ومعناه من خلال السياق؛ وذلك أن للفظة القرآنية سواء من الناحية الصوتية أو البنيوية وإيقاعهما النغمي أثر كبير في إبراز المعنى مع التوافق والتقابل التكاملي بين الصوت وجرسه وبنيته ودلالته.

ولهذا كان استعمال كل لفظة في موضوعها استعمال معجز لا يؤدي غيرها نفس معناها، فالقرآن (يتأنَّق أسلوبه في اختيار ألفاظه، ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها، يستخدم كلًّا حيث يؤدي معناها في دقة فائقة تكاد بها تؤمن بأن هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها، وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وفَّت به أختها، فكل لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى بأقوى أداء، لذلك لا تجد في القرآن ترادفًا، بل فيه كل كلمة تحمل إليك معنى جديدًا).[١]

فلكل لفظة في القرآن جرسها الخاص والذي يتلاءم مع دلالته العامة ويساعد على تثبيت الصورة المرسومة ويحقق ظلالها المعنوية.

<u>ومن نتائج البحث:</u>

أن البحث يرسخ بعض المفاهيم المستقر عليها للألفاظ ومفردات القرآن الكريم، ومنها:

– اللفظة المستقلة بمفهومها الذاتي، لها معنى عرفي معجمي، ولها داخل التركيب معنى نحوي، ولها في السياق معنى دلالي.

---

(١) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي: ص٥٧، دار النهضة، الفجالة، القاهرة.

– التركيب المستقل بمفهومه التركيبي الإسنادي له معنى معيَّن، وقد يبدل بغيره في الأسلوب ليؤدي المراد، ولإيجاد دلالات جديدة زائدة على معناه الأصلي.

– المعاني الأصلية لا تهمل، بل تستحضر لبيان المعاني الجديدة للمفردات والتراكيب، وإيضاح الدلالات المقامية والسياقية والحالية لمعرفة علة الاختيار.

– يؤتى بالبدائل الدلالية والأسلوبية لتحصيل دلالات لا يستطيع أن يأتي بها المعنى الأصلي أو المعنى العام.

– البدائل توسع المعنى الأصلي وتولد المعاني الجديدة بدلالات مختلفة عن دلالة المعنى الأصلي.

– وقبل أن ألجم عنان قلمي، فإن مما أوصي به التوجُّه إلى الدراسات الصوتية للمفردات القرآنية؛ لأنها تكشف عن جانب من جوانب الإعجاز البلاغي.

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. إعجاز التكرار في قصص القرآن: المتشابهات وجرس الكلمة والمشهد التصويري، تأليف د. سامح القليني، دار الصحابة، ٢٠١٣ه.

٢. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الفكر العربي القاهرة، ط٨، ١٤١٦هـ-١٩٩٥هـ.

٣. بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حنفي محمد شرف، نهضة مصر.

٤. بلاغة القرآن في أدب الرافعي، د. فتحي عبد القادر فريد، دار المنار.

٥. البناء اللغوي في سورتي البقرة والشعراء-رسالة ماجستير، إعداد: د. مني محمد عارف عابد، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين ٢٠٠٤م.

٦. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٧. تفسير أبي السعود المسمى إرسال العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١١ه- ١٩٩٠م.

٨. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٩. تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، أبو محمد الحين بن مسعود، تحقيق: خالد عبد الرحمن ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٠.التفسير البلاغي في القرآن الحكيم، د عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة،١٤٢٠ه-ـ ١٩٩٩م.
١١.التفسير البلاغي للاستفهام، د.عبد العظيم المطعني، مطبعة دار التوفيقية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
١٢.تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ه.
١٣.التفسير القيم، الإمام ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفيفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٤.التفسير الكبير، الإمام الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٥.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيرت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
١٦.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ٤٧٨، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٧.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٨.التيسير في القراءات السبع، تأليف: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تصحيح: أوثورتزل-إستانبول :١٢٨- التذكرة في القراءات.
١٩.الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٢٠.الجرس والإيقاع في تعبير القرآند، كاصد ياسر حسين، مجلة آداب الرافدين، العدد التاسع، ١٩٧٨م.

٢١.جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، أحمد باسوف: ١٦١، دار المكتبي، دمشق، ط١: ١٤١٥-١٩٩٤م.
٢٢.الخصائص، صنعه: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد على النجار، الطبعة الثانية.
٢٣.الدر النظيم في مباحث من علوم القرآن الكريم، د/ توفيق إبراهيم أبو بكر، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، د.ت.
٢٤.دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس، طبعة الإنجلو المصرية.
٢٥.ديوان النابغة، تحقيق: عباس عبد الستار: ٥٣، ط٣، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.
٢٦.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ، ١٩٩٥م.
٢٧.الصحاح في اللغة، أبو نصر بن حماد الجوهري.
٢٨.الصورة الفنية في المثل القرآني د/ محمد الصغير ط: دار الهادى للطباعة والنشر ١٩٩١م ص: ٢٣٨.
٢٩.فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.
٣٠.فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. فتحي أحمد عامر، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩١م.
٣١.في ظلال القرآن، سيد قطب: ١/٢٩٨-٢٩٩، دار الشروق، بيروت، ط١٥، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٣٢.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود عمرو الزمخشري، دار الكتب العربية.

٣٣.لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

٣٤.المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٣٥.مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣٦.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣ه-١٩٩٣م.

٣٧.المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠-١٩٩٠م.

٣٨.معاني القرآن، أبو زكريا الفراء يحي بن زياد، مكتبة عالم الكتب، طبعة بيروت الطبعة الثانية١٩٨٠م.

٣٩.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٤٠.معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٤١.المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى، السعودية ١٤١٨-١٩٩٧.

٤٢.المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى، السعودية ١٤١٨-١٩٩٧.

٤٣.ملاك التأويل القاطع بدوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٣-١٤٠٣هـ.

٤٤.من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي: ٥٧، دار النهضة، الفجالة، القاهرة.

٤٥.موسوعة الجلال والجمال في رسم الكلمة وعلاقته بالجرس والنظم في القرآن الكريم، د.سامح القليني، تحقيق: د/علي النحاس، دار الصحابة، الطبعة الرابعة، ٢٠١٤م.

٤٦.الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥ه، غريب القرآن.

٤٧.النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز، طبعة: دار القلم بيروت.

-المجلات

– مجلة الدراسات العربية (التعبير الصوتي في النص القرآني)، عبد المنعم سيد، العدد١٩، مج٢ (٢٠٠٩)، جامعة المنيا، مصر.

قائمة بالمفردات القرآنية التي لم ترد إلا مرة واحدة (صيغة ومادة)

الكلمة	الآية	السورة	الكلمة	الآية	السورة	الكلمة	الآية	السورة
كصيب	١٩	البقرة	حيران	٧١	الأنعام	تفتأ	٨٥	يوسف
بعوضة	٢٦	البقرة	ينعه	٩٦	الأنعام	تثريب	٩٢	يوسف
فثائها	٦١	البقرة	متراكبًا	٩٩	الأنعام	تفندون	٩٤	يوسف
عدسها	٦١	البقرة	المعز	١٤٣	الأنعام	المحال	١٣	الرعد
فاقع	٦٩	البقرة	مذؤومًا	١٨	الأعراف	كرماد	١٨	إبراهيم
لاشية	٧١	البقرة	ريشًا	٢٦	الأعراف	فرعها	٢٤	إبراهيم
هاروت	١٠٢	البقرة	نكدا	٥٨	الأعراف	لواقح	٢٢	الحجر
ببابل	١٠٢	البقرة	سهولها	٧٤	الأعراف	تفضحون	٦٨	الحجر
ماروت	١٠٨	البقرة	مهما	١٣٢	الأعراف	عضين	٩١	الحجر
ينعق	١٧١	البقرة	القمل	١٣٣	الأعراف	دفء	٥	النحل
يؤده	٢٥٥	البقرة	الضفادع	١٣٣	الأعراف	فرث	٦٦	النحل
انفصام	٢٥٦	البقرة	تشمت	١٥٠	الأعراف	وحفدة	٧٢	النحل
يتسنه	٢٥٩	البقرة	سكنا	١٥٤	الأعراف	أصوافها	٨٠	النحل
فصرهن	٢٦٠	البقرة	فانبجست	١٦٠	الأعراف	ظعنكم	٨٠	النحل
صلدا	٢٦٤	البقرة	نتقنا	١٧١	الأعراف	أوبارها	٨٠	النحل
تغمضوا	٢٦٧	البقرة	يلهث	١٧٦	الأعراف	توكيدها	٩١	النحل
يتخبطه	٢٧٥	البقرة	صامتون	١٩٣	الأعراف	فجاسوا	٥	الإسراء
رمزًا	٤١	آل عمران	الشوكة	٧	الأنفال	فسينغضون	٥١	الإسراء
تدخرون	٤٩	آل عمران	زحفًا	١٥	لأنفال	لأحتنكن	٦٢	الإسراء
نبتهل	٦١	آل عمران	مكاء	٣٥	لأنفال	موفورا	٦٣	الإسراء
ببكة	٩٦	آل عمران	كساؤها	٢٤	التوبة	قاصفا	٦٩	الإسراء
فظًّا	١٥٩	آل عمران	نجس	٢٨	التوبة	فتهجد	٧٩	الإسراء
مرينًا	٤	النساء	يضاهئون	٣٠	التوبة	خبت	٩٧	الإسراء
أفضى	٢١	النساء	فتكوى	٣٥	التوبة	فجوة	١٧	الكهف
نضجت	٥٦	النساء	فثبطهم	٤٦	التوبة	تبيد	٣٥	الكهف
ثبات	٧١	النساء	يجمحون	٥٧	التوبة	موئلا	٥٨	الكهف
ليبطئن	٧٢	النساء	إي	٥٣	يونس	ينقض	٧٧	الكهف
أذاعوا	٨٣	النساء	تزدري	٣١	هود	غصبا	٧٩	الكهف
يستنبطونه	٨٣	النساء	ابلعي	٤٤	هود	ردما	٩٥	الكهف
مقيتًا	٨٥	النساء	أقلعي	٤٤	هود	اشتعل	٤	مريم
مراغمًا	١٠٠	النساء	الجودي	٤٤	هود	المخاض	٢٣	مريم

الكلمة	الآية	السورة	الكلمة	الآية	السورة	الكلمة	الآية	السورة
فليبتكن	١١٩	النساء	اعتراك	٥٤	هود	حتمًا	٧١	مريم
مذبذبين	١٤٣	النساء	حنيذ	٦٩	هود	ضدًا	٨٢	مريم
النطيحة	٣	المائدة	الروع	٧٤	هود	وفدا	٨٥	مريم
ذكيتم	٥	المائدة	اطرحوه	٩	يوسف	هدًّا	٩٠	مريم
الخنازير	٦	المائدة	يرتع	١٢	يوسف	ركزا	٩٨	مريم
يبحث	٣١	المائدة	دراهم	٢٠	يوسف	طه	١	طه
ينفوا	٣٣	المائدة	هيت	٢٣	يوسف	نعليك	١٢	طه
منهاجًا	٤٨	المائدة	غلّقت	٢٣	يوسف	وأهش	١٨	طه
قسيسين	٨٢	المائدة	شغفها	٣٠	يوسف	فيسحتكم	٦١	طه
سائبة	١٠٣	المائدة	حصحص	٥١	يوسف	زرقًا	١٠٢	طه
نفقًا	٣٥	الأنعام	نمير	٦٥	يوسف	قاعًا	١٠٦	طه
شحومها	٤٦	الأنعام	صواع	٧٢	يوسف	هما	١٠٨	طه
عنت	١١١	طه	تذودان	٢٣	القصص	اشمأزت	٤٥	الزمر
ضنكًا	١٢٤	طه	هاتين	٢٧	القصص	أفوض	٤٤	غافر
نذل	١٣٤	طه	ردءا	٣٤	القصص	أقواتها	١٠	فصلت
قصمنا	١١	الأنبياء	ثاويا	٤٥	القصص	رواكد	٣٣	الشورى
يدمغه	١٨	الأنبياء	الروم	٢	الروم	رهوًا	٢٤	الدخان
رتقًا	٣٠	الأنبياء	تمسون	١٧	الروم	الأحقاف	٢١	الأحقاف
ففتقناهما	٣٠	الأنبياء	تصعِّر	١٨	لقمان	آسن	١٥	محمد
يكلؤكم	٤٢	الأنبياء	خدك	١٨	لقمان	عسل	١٥	محمد
نفخة	٤٩	الأنبياء	ختار	٣٢	لقمان	أقفالها	٢٤	محمد
فقوماها	٧٩	الأنبياء	جوفه	٤	الأحزاب	لحن	٣٠	محمد
ففهمناها	٧٩	الأنبياء	يثرب	١٣	الأحزاب	يتركم	٣٥	محمد
حدب	٩٦	الأنبياء	المعوقين	١٨	الأحزاب	معرَّة	٢٥	الفتح
حسيسها	١٠٢	الأنبياء	سلقوكم	١٩	الأحزاب	تزيلوا	٢٥	الفتح
تذهل	٢	الحج	صياصيهم	٢٦	الأحزاب	بالألقاب	١١	الحجرات
هامدة	٥	الحج	إناه	٥٣	الأحزاب	تنابزوا	١١	الحجرات
عطفه	١٩	الحج	السرد	١١	سبأ	يغتب	١٢	الحجرات
مقامع	٢١	الحج	منسأته	١٤	سبأ	تجسسوا	١٢	الحجرات
ضامر	٢٧	الحج	العرم	١٦	سبأ	باسقات	١٠	ق
وجبت	٣٦	الحج	خمط	١٦	سبأ	يلفظ	١٨	ق
المعتر	٣٦	الحج	التناوش	٥٢	سبأ	تحيد	١٩	ق
صوامع	٤٠	الحج	قطمير	١٣	فاطر	قدحا	٢	الذاريات

الكلمة	الآية	السورة	الكلمة	الآية	السورة	الكلمة	الآية	السورة
معطلة	٤٥	الحج	جدد	٢٧	فاطر	الحبك	٧	الذاريات
تترا	٤٤	المؤمنون	مقحمون	٨	يس	يهجعون	١٧	الذاريات
تلفح	١٠٤	المؤمنون	لمسخناهم	٦٧	يس	رق	٣	الطور
كالحون	١٠٤	المؤمنون	لازب	١١	الصافات	قاب	٩	النجم
دري	٣٥	النور	أيقاظًا	١٨	الصافات	قوسين	٩	النجم
كمشكاة	٣٥	النور	تزيَّلوا	٢٥	الصافات	ضيزى	٢٢	النجم
زيتها	٣٥	النور	يقطين	٤٦	الصافات	اللمم	٣٢	النجم
بقيعة	٣٩	النور	لشوبا	٦٧	الصافات	أكدى	٣٤	النجم
الودق	٤٣	النور	يزفون	٩٤	الصافات	أقنى	٤٨	النجم
مذعنين	٤٩	النور	تله	١٠٣	الصافات	سامدون	٦١	النجم
يحيف	٥٠	النور	للجبين	١٠٣	الصافات	منهمر	١١	القمر
لواذًا	٦٣	النور	أبق	١٤٠	الصافات	دسر	١٣	القمر
يتسللون	٦٣	النور	ساهم	١٤١	الصافات	منقعر	٢٠	القمر
يعبؤوا	٧٧	الفرقان	فالتقمه	١٤٢	الصافات	نضاختان	٦٦	القمر
ضير	٥٠	الشعراء	بساحتهم	١٧٧	الصافات	شواظ	٣٥	الرحمن
شرذمة	٥٤	الشعراء	مناص	٣	ص	الياقوت	٥٨	الرحمن
فكبكبوا	٩٤	الشعراء	قطنا	١٦	ص	مدهمتان	٦٤	الرحمن
ريع	١٢٨	الشعراء	الخلطاء	٢٤	ص	الخيام	٧٢	الرحمن
يهيمون	٢٢٥	الشعراء	الصافنات	٣١	ص	رفرف	٧٦	الرحمن
عفريت	٣٩	النمل	الجياد	٣١	ص	عبقري	٧٦	الرحمن
أهكذا	٤٢	النمل	رخاء	٣٦	ص	منضود	٢٨	الواقعة
جامدة	٨٨	النمل	تقشعر	٢٣	الزمر	مخضود	٢٨	الواقعة
طلح	٢٩	الواقعة	وهاجا	١٣	النبأ	النفاثات	٤	العلق
مسكوب	٣١	الواقعة	كواكب	٣٣	النبأ	لنسفعا	١٥	العلق
عربًا	٣٧	الواقعة	دهاقا	٣٤	النبأ	ضبحا	١	العاديات
الهيم	٥٥	الواقعة	نخرة	١١	النازعات	نقعا	٤	العاديات
المزن	٦٩	الواقعة	الساهرة	١٤	النازعات	لكنود	٦	العاديات
للمقوين	٧٣	الواقعة	سمكها	٢٨	النازعات	ماهية	١٠	القارعة
الحلقوم	٨٣	الواقعة	أغطش	٢٩	النازعات	أبابيل	٣	الفيل
حينئذ	٨٤	الواقعة	دحاها	٣٠	النازعات	انحر	٢	الكوثر
يأن	١٦	الحديد	الطامة	٣٤	النازعات	الأبتر	٣	الكوثر
مرصوص	٤	الصف	قضبًا	٢٨	عبس	جيدها	٥	المسد
مسندة	٤	المنافقون	غلبا	٣٠	عبس	مسد	٥	المسد

الكلمة	الآية	السورة
خشب	٤	المنافقون
التغابن	٩	التغابن
بنميم	١١	القلم
زنيم	١٣	القلم
سنمئه	١٦	القلم
الخرطوم	١٦	القلم
حرد	٢٥	القلم
هاؤم	١٩	الحاقة
الوتين	٤٦	الحاقة
هلوعًا	١٩	المعارج
عزين	٣٧	المعارج
يوفضون	٤٣	المعارج
يغوث	٢٣	نوح
ونسرا	٢٣	نوح
سواعًا	٢٣	نوح
الجد	٣	الجن
قددا	١١	الجن
هربا	١٢	الجن
المزمل	١	المزمل
غصة	١٣	المزمل
مهيلًا	١٤	المزمل
كثيبا	١٤	المزمل
قسورة	٥١	المدثر
فاقرة	٢٥	القيامة
أمشاج	٢	الإنسان
زمهريرًا	١٣	الإنسان
زنجبيلا	١٧	الإنسان
سلسبيل	١٨	الإنسان
شامخات	٢٧	المرسلات
جمالة	٣٣	المرسلات
ثجاجًا	٤	النبأ

الكلمة	الآية	السورة
أبًّا	٣١	عبس
الصاخة	٣٣	عبس
انكدرت	٢	التكوير
الموؤودة	٨	التكوير
كشطت	١١	التكوير
الكنس	١٦	التكوير
عسعس	١٧	التكوير
تنفَّس	١٨	التكوير
ضنين	٢٤	التكوير
ران	١٤	المطففين
رحيق	٢٥	المطففين
تسنيم	٢٧	المطففين
يتغامزون	٣٠	المطففين
بالهزل	١٤	الطارق
ضريع	٦	الغاشية
نمارق	١٥	الغاشية
زرابي	١٦	الغاشية
سُطِحت	٢٠	الغاشية
الوتر	٣	الفجر
جابوا	٩	الفجر
سوط	١٣	الفجر
لما	١٩	الفجر
جمًّا	٢٠	الفجر
كبد	٤	البلد
النجدين	١٠	البلد
مسغبة	١٤	البلد
طحاها	٦	الشمس
فألهمها	٨	الشمس
دمدم	١٤	الشمس
قلى	٣	الضحى
تقهر	٩	الضحى

الكلمة	الآية	السورة
كفوًا	٤	الإخلاص
وقب	٣	الفلق
النفاثات	٤	الفلق

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٥٢٥٠
٢-	Abstract	٥٢٥١
٣-	المقدمة	٥٢٥٢
٤-	التمهيد:	٥٢٥٩
٥-	المبحث الأول: البدائل الدلالية	٥٢٦٠
٦-	المبحث الثاني: ملاءمة الألفاظ لمعانيها	٥٢٦٨
٧-	المبحث الثالث: اختيار اللفظ لتناغم بنيته الصرفية	٥٢٧٥
٨-	المبحث الرابع: دقة التصوير بالحركة	٥٢٧٩
٩-	المبحث الخامس: الفاصلة بين التناسق الصوتي ورعاية المعنى	٥٢٨٧
١٠-	الخاتمة:	٥٢٩١
١١-	فهرس المصادر والمراجع	٥٢٩٣
١٢-	فهرس الموضوعات	٥٣٠٢

تم بحمد الله